العربية من وجهة وظيفية موضوعية.

د. محمد عبدو فلفل- جامعة حماة- كلية الآداب

تمهيد.

يبدو أننا لا نزال نعالج الكثير من قضايانا الأساسية معالجة تفتقر إلى شيء من المكاشفة والتشخيص الواقعي القائم على التفكير العلمي والموضوعية والنقد البناء، وربط الأشياء بمسبِّباتها الحقيقية. ولعل خير مثال على ذلك معالجتنا للمسألة اللغوية، وتلمسُ وضع لغتنا المزري، واستشرافُ آفاق مستقبلها القاتم، والقلقُ من اندثارها،إلى غير ذلك من المقولات التي قد يوضِّح ما فيها من مغالاة وانفعالية أن ننظر إلى ما نحن فيه نظرة علمية هادئة، قوامها الواقعية والموضوعية،وربط ممارسة الإنسان للغة بوظيفتها،وجدواها في مختلف شؤون حياته،ذلك أن تعلم اللغة والعناية بها محكومان بالحاجة إليها، وأن من طبيعة الإنسان ألَّا يبذل في الأمر من الجهد أكثر من الجدوى التي ينتظرها منه.

وأزعم أننا لو نظرنا إلى واقع عربيتنا في ضوء هذه المعطيات لتراءى لنا أن حالتها طبيعية ومستقرة ضربا من الاستقرار في مختلف الميادين، وذلك خلافا لما يُحْـلَـمُ لها به من العالمية المبالَغ فيها، وخلافا أيضا لما يراه بعضهم من أنها في حالة من حالات احتشاء العضلة القلبية المنذرة بالانهيار المدوي، والاندثار الأبدي، ولعل مما يؤنس بذلك ما يبدو من تلمس العوامل المؤثرة في حياة العربية سلبا وإيجابا، تلك العوامل التي تجعل العربية محكومة بصراع المتوازنات، التي تضمن بتوازنها للعربية، ضربا من ضروب البقاء والصمود، وهو ما تحاول توضيحه الفقرة التالية.

العربية وصراع المتوازنات.

مما يلفت انتباه المعنيِّ بالعربية الفصحى أنها في عمرها المديد مخالفة لقانون تغيُّر اللغات البشرية القاضي بانقراض اللغة أو انحلالها في لغات جديدة، في مدة أقصاها أربعة قرون[1] . ولعل ما يفسر هذه الحالة الشاذة في العربية هو تصارع عدة عوامل متوازنة، يبدو أنها تضمن للعربية بتصارعها المتوازن حالة من الثبات الذي يُـمِكِّـن المتحدثَ بها من التواصل مع مخزونها المعرفي الضارب في القدم، كما يضمن لها تجددا يمكنها إلى حد ما من التعبير عما يستجد في حياة الناطقين بها، وفيما يلي عرض لهذه العوامل المتصارعة،فأما العوامل التي تضمن للعربية الصمود والبقاء فها هي ذي مرتبة بحسب أهميتها :

١- العربية لغة القرآن الكريم .
٢- المخزون المعرفي والإرث الحضاري.
٣- الرصيد البشري .
٤- نضج العربية وامتلاكها عناصر التوليد والتجدد.
٥- المرجعية المعيارية .وأما العوامل الفاعلة في تغيير اللغة العربية، أو التي تمثل معوِّقات لها فهذه مرتبة أيضا بحسب أهميتها:

١- الإشكالية الحضارية للأمة العربية .
٢- قصور في الوعي اللغوي .

[1] - لا تزال لغة الضاد معمَّرة منذ ما يربو على سبعة عشر قرنا مع أن المألوف تاريخيا ألا تعمر اللغة الطبيعية أكثر من أربعة قرون. انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٢٦٦.

٣- قصور في الإعداد اللغوي .
٤- الزحام اللغوي .
٥- قصور في الإملاء العربي .وفيما يلي إيجاز لما لكل من هذه العوامل من الأثر في صمود العربية وبقائها، أو في تغيُّرِها وانحلالها.

أولا: مقومات صمود العربية وبقائها .

١-**العربية لغة القرآن الكريم**.وهو كتاب المسلمين الأول الذي لا يجوز عقديا تعبدهم به إلا باللغة العربية الفصحى، وهذا هو السبب الرئيس الذي يفسر به المعنيون استمرارها على هذا النحو من الثبات[١]، فلولا القرآن ما استمرت العربية كما يقال، ذلك أنه منذ نشأة علوم العربية كان محورا لها،لأنها في الأصل قامت لخدمته،ولولاه لاندثرت العربية الفصحى،وأصبحت لغة أثرية،تشبه اللاتينية أو السنسكريتية [٢].

٢-**المخزون المعرفي والإرث الحضاري**. المقصود بذلك ما تحمله العربية الفصحى لما كتب بها منذ ما يربو على خمسة عشر قرنا إلى يوم الناس هذا من إرث غزير ومتنوع، فهي الحامل لهذا الإرث ، لذلك عُدت واحدة من اللغات الثقافية العالمية المعروفة تاريخيا بأنها خزانات معرفية وثقافية، كالسنسكريتية واللاتينية والصينية[٣]، بل يرى المستعرب الياباني توشيهيكو أزوتسو أن العربية إحدى اللغات الأكثر أهمية بين اللغات الثقافية في العالم[٤]. ومكانة أية لغة من اللغات المعاصرة تتحدد في المقام الأول بما تحمله من تراث حضاري، وما تقدمه من نتاج حضاري حديث[٥].

ولنا أن نتخيل أهمية هذه المرجعية الثقافية التراثية والعقدية في حياة لغة أمة، وُصِفَتْ بأنها تسير بقدميها إلى الأمام، وتنظر بعينيها إلى الخلف، فلابد والحالة هذه من أن تحافظ أمةٌ، هذا شأنها على اللغة التي تحفظ لها تراثها الأثير ،و تمكنها من التواصل معه، وإلا أصيبت بما يسمى بالبتر الثقافي[٦]، وقد أشار غير واحد من الدارسين[٧] إلى ما لهذا الموروث الحضاري الذي تختزنه العربية من أثر في صمودها، مما يجعلنا نتفهَّم مقولة مفادها[٨] أن اللغات تحيا وتدوُّن وتبقى بفضل التوارث الثقافي.

٣-**الرصيد البشري.** من المسلم به أن عدد المتحدثين بأية لغة عامل مهم من العوامل المؤثرة في حياتها، وقد بات من الواضح أن العربية من اللغات العالمية الأكثر انتشارا، فهي واحدة من ثماني لغات يزيد عدد المتحدثين بكل منها على الخمسين مليون نسمة، بل هي كما تفيد بعض الدراسات خامسة اللغات العشر الأكثر انتشارا في العالم[٩]

٤-**نضج العربية وامتلاكها عنصر التجدد،** من المسلم به أن العربية من اللغات الناضجة الممتلكة لعناصر التجدد الذاتي التي تمكنها من الاستجابة وفق رؤية محددة لمستجدات الحياة بمختلف أطيافها، وهو ما أقره الكثير من المعنيين بها عربا وأجانب[١٠]، وهو ما فسَّر به فندريس سعة انتشار بعض في العالم ومنها العربية[١] .

---

[١] -عرضنا لذلك بشيء من التفصيل في"أضواء على المشكلة اللغوية العربية، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠١٣،ص٣٦.
[٢] - انظر:رمضان عبد التواب،فصول في فقه اللغة العربية،ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٠٨، ١١٥، ومحمود محمد الطناحي،في اللغة والأدب؛دراسات وبحوث،ط.دار الغرب الإسلامي،٧٤٣/٢-٧٤٤.
[٣] - انظر: سكوت.ل.مونتغمري، هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية ؟ ص٣٧-٣٨، ٥٩، وسيلفان أورو، جاك ديشان، جمال كولغلي، فلسفة اللغة، تر. بسام بركة، مرا. ميشيل زكريا، ط١،المنظمة العربية للترجمة،٢٠١٢،ص٥٣٤،
[٤] - توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن،علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم،تر.عيسى علي العاكوب بعنوان "بين الله والإنسان في القرآن؛ دراسة دلالية لنظرة القرآن إلى العالم" ط١،دار نينوي، دمشق،٢٠١٧، ص٩٩.
[٥] -انظر : محمود فهمي حجازي،علم اللغة العربية، ط. وكالة المطبوعات، الكويت،ص ٢٨.
[٦] - انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ص١٩
[٧] - انظر: محمد عبدو فلفل، أضواء على المشكلة اللغوية العربية، ٢٠ ،٣٥-٣٦.
[٨] -انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ،ص ٢٧٣.
[٩] - انظر: محمد عبدو فلفل، أضواء على المشكلة اللغوية العربية ،ص٢٠-٢١، و كيس فريستيغ،اللغة العربية، تر. محمد الشرقاوي، ط١.المشروع القومي للترجمة،القاهرة،٢٠٠٣، ص ٢٦٣،و سكوت. ل . مونتغمري، هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية ؟ ، ص ٨٠-٨١.
[١٠] - انظر: محمد عبدو فلفل، أضواء على المشكلة اللغوية العربية،ص١٥-١٧ ، ٣١-٣٤.

وفيما نحن فيه يقول الدكتور أحمد قدور:"المستويان النحوي والصرفي لهذه اللغة بنيتان قياسيتان يجري وفقهما صوغ قياسي مطرد وتقليد محفوظ، والتطور في هذه الحالة لا يكون بابتداع أصوات جديدة أو باختراع صيغ وأوزان، لا عهد للعربية بها، أو تبديل نظام الجملة، بل يكون ضمن هذه الأنظمة وداخلها ولا يعني ذلك بالضبط تضييقا لمسالك الكلام لأن في الجانبين النحوي والصرفي قدرات توليدية كامنة ومستمرة، لا أعدادا من الكلمات وأنساقا من الجمل محددة"[٢]

٥-المرجعية المعيارية. والمقصود بذلك أن العربية لغة مقعَّـدة، وتقعيد اللغة من عوامل ثباتها،لاحتكام ممارسيها إلى ما وضع لها من القواعد، وفي هذا الصدد يقول يوهان فك(لقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغة الفصحى، وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات و الصيغ وتركيب الجمل، ومعاني المفردات على صورة محيطة شاملة بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد، ولا تزال القواعد الأساسية المذكورة تعد اللغة العربية لغة متصرفة بمعنى الكلمة محافظة على نهايات الإعراب والتصرفات المختلفة)[٣]

هذه هي أهم العوامل التي ضمنت للعربية ما نراها عليه من الثبات، أما العوامل الفاعلة في تغييرها فيمكن أن نوجزها مع ما لها من دور في ذلك على النحو التالي.

ثانيا: معوقات اللغة العربية .

١-**الإشكالية الحضارية للأمة العربية** . من المسلم به أن العامل الحضاري عامل أساسي في قوة انتشار اللغة على المستويين الداخلي والخارجي، فالإنتاج الحضاري الحديث عامل من العوامل المؤثرة في مكانة اللغات العالمية[٤]،ولعله من المسلم به أيضا أن الأمة العربية كفَّت منذ زمن عن المشاركة الفعالة في إنتاج مكونات المشهد الحضاري الكوني، لذا من الطبيعي والحالة هذه أن تكون العربية في الموقع الذي هي فيه،أو في الحالة التي هي فيها، فمن عوامل ما يتراءى لنا من ضعف العربية في الواقع "انقطاع العرب عن البحث العلمي عدة قرون، وانقطاعهم بالتالي عن الكتابة العلمية التي يصقلها التمرس بالبحث العلمي والتعبير عنه"[٥] .

لذا نرجح أن أي حديث عن تنمية العربية أو صيانتها أو النهوض بها غيرِ مصحوب بتنمية شاملة عربية اللسان لن يأتي أكله على النحو المرجو، بل يبدو أن الحرص على أن يكون الخطاب مكاشفا يحمل على أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فنزعم أنه حتى لو قدر للعرب أن يكونوا فاعلين في إنتاج الحضارة الكونية كغيرهم من الأمم ذات الأثر الفاعل في الحضارة العالمية فليس من الحتمي أن يكون للغتهم ما يَحلم لها به محبوها من العالمية المبالغ فيها حضورا

---

[١] - انظر:جوزيف فندريس، اللغة،تر. عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص،،ط.لجنة البيان العربي، القاهرة،١٩٥٠،ص٣٥١.

[٢]– انظر: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ط١، بيروت ١٩٩٣، ص ٢٢٤.

[٣]– يوهان فيك، العربية، تر. د. رمضان عبد التواب، ط، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠، ص ١٤.

٣- انظر: محمود فهمي حجازي،علم اللغة العربية،ص٢٨.

[٥] - ممدوح محمد خسارة،قضايا لغوية معاصرة،ط١.الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع،دمشق،٢٠٠٣،ص٣٠.

وقوة انتشار، وخير دليل على ذلك أن لغة كالفرنسية مشهودا لأمتها بالمشاركة الفعالة في بناء الحضارة الحديثة تشهد من الانحسار ما يقلق المعنيين بها، وذلك على ما يبذلونه من جهود استثنائية في تفعيل الفرانكوفونية، ومع ذلك بيَّنتْ الإحصاءات الحديثة أنها ليست من اللغات العشر الأكثر انتشارا في العالم[١]، بل يرى بعضم أنها لغة مهددة في وجودها[٢] مما يعني ويوضِّح أن لعالمية اللغة، أو لتسنمها قمة العالمية إضافة إلى العامل الحضاري عواملَ أخرى عسكرية وسياسية وغيرها من العوامل التي بيَّنتها الدراساتُ المعنية بصراع اللغات أو تنافسها، تلك الدراسات التي تؤكد أن تسنم أية لغة لقمة العالمية لا يعني بالضرورة أنها اللغة الفضلى أو اللغة الأكفأ أو الأسهل[٣]، مما يجعلنا مطالبين بالتفكير بواقعية في الحديث عن مدى عالمية اللغة العربية، مع ملاحظة أن تواضع المنتج العلمي للعرب في الحضارة الحديثة ببعديها المادي والمعنوي معوِّقٌ رئيس من معوقات انتشارها داخليا وخارجيا إضافة إلى معوقات أخرى نحاول فيما يلي تلمُّسَ معالمها .

٢- قصور في الوعي اللغوي . المراد بذلك أنه ليس في الوجدان العربي الجمعي ما يشي بوعي سليم لأهمية اللغة الأم في حياتنا أفرادا ومجتمعات، وفي هذا الصدد نستحضر ما تراءى للدكتور عبد السلام المسدي[٤] من أن الأمر انتهى بلغة الضاد إلى تدنى وضعها الاعتباري في نفوس أبنائها في دولة الاستقلال عمَّا كان عليه أيام دولة الاحتلال والكفاح الوطني ضد المستعمر، مما يشي بغياب ما يكفي من الوعي الخاص بالمسألة اللغوية العربية في الراهن العربي، ولعل ذلك أمر طبيعي في مجتمع يعاني ما تعانيه المجتمعات العربية من استفحال الأمية الثقافية، وندرة القراءة،وهيمنة ثقافة الاستهلاك،وانحسار ثقافة المبادرة المنتجة المؤصِّلة أو المؤسِّسة .

وأهمية هذا الملحظ فيما نحن فيه تتجلى في أن من يع أهمية الشيء في حياته وعيا سليما يع أيضا ما يترتب على هذا الوعي من واجبات للنهوض بذلك الشيء ورعايته،فـ(اللغة ملكة، وتحصيلها قرين تعلُّمها، ولا تعلُّم إلا بتعليم، سواء أكان إراديا أم غير إرادي)[٥] ويبدو أن قصور وعينا بأهمية اللغة الأم في حياتنا ترتَّبَ عليه مسائل خطيرة في مقدمتها المعوق الثالث من معوقات اللغة العربية، وهو التقصير في الإعداد اللغوي على ما سيتضح في الفقرة التالية .

٣-قصور في الإعداد اللغوي . المراد بذلك أن أبناء العربية نادرا ما يحرصون على إعداد أنفسهم إعدادا لغويا ما لم يكونوا متخصصين بهذه اللغة، وكأن المسألة مسألة اختصاص علمي، لا مهارةٌ، يجب امتلاكُها والعملُ على رعايتها. والملاحظ في هذا السياق أن ما يبذله البعض لإتقان لغة أجنبية كالإنكليزية لو بذلوا مثله لإتقان لغتهم لكان وضع العربية بين أبنائها أفضل مما هو عليه بكثير، فالتقصير في الإعداد اللغوي له أثره الفاعل في حياة لغتنا، وقد يبدو ذلك أكثر وضوحا إذا ما علمنا أن امتلاك المهارة في أية لغة، من الناطقين بها أو بغيرها يتطلب الكثير من الجهد والوقت [٦]، وذلك بغض النظر عن مدى صعوبة اللغة المستهدفة.

على أن لقصور وعينا اللغوي مظهرا آخر يتمثل بعدم إفادتنا كما يجب من معطى علم اللغة التطبيقي في الطرق المعتمدة في تعليم اللغة العربية للناطقين بها أو للناطقين بغيرها، فهؤلاء يفتقدون الطرق المدروسة في تعلم العربية وتعليمها، ويرون[٧] ذلك معوقا من معوقات اكتسابهم لها، يضاف إلى ذلك عدم التعويل فيما نحن فيه على ما يلاحظ في

---

[١] - لذلك و لما تشهده الفرنسية من الانحسار انظر : سكوت. ل . مونتغمري، هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟ ، ص٨٠-٨٢، و لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص ٣٤٥.

[٢] - انظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية،ص١١٧.

[٣] - لذلك ولعوامل عالمية اللغات انظر: المرجع السابق،ص٣٧٢-٣٧٣،٣٨٧،وسكوت.ل .مونتغمري،هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟ص٤١-٤٤، ٦٧-٦٨، ٧٢، وأندري مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر. نادر سراج،ط١،دار المنتَخَب العربي،بيروت،١٩٩٦،ص١٦٨-١٦٩.

[٤] - انظر : عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ص، ١٠٥، ١٩٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٣٣٨.

[٥] - عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي ، ص٣٤٧.

[٦] -يذكر سوكت. ل. مونتغمري في كتابه، هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية" ص٢٣١ أن اكتساب مهارة إتقان اللغة الإنكليزية يستغرق عادة وقتا طويلا، من ست إلى ثماني سنوات !

[٧] - انظر: ديفيد جيستس، محاسن العربية في المرآة الغربية، تر. حمزة قبلان المزيني، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٢٥، ص٣٩-٤٠. والجدير بالذكر تكرر الدعوات إلى ضرورة إعادة النظر بغرض تطوير أساليب تعليم العربية للناطقين بها أو بغيرها. انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ، ص١٨٦-١٨٧، ٢٥٠.

اللغات الأخرى من معجمات مخصصة لفئات عمرية محددة أو لفئات مهنية وعلمية محددة[1]، وذلك لأسباب عدة في مقدمتها أن العربية لم تحظ بعد بتحديد ما يعرف بالرصيد اللفظي المشترك بين السواد الأعظم من أبنائها[2]، أو بين فئات عمرية أو مهنية أو علمية محددة، وكل ذلك تقصير في الإفادة من علم اللغة التطبيقي في تعليم العربية أو تعلمها، وهو في الوقت نفسه مَعْـلَـمٌ من معالم القصور في الإعداد اللغوي الذي يعد كما نزعم معوقا من معوقات انتشار العربية في الاستعمال.

٤-الزحام اللغوي. مما تعاني منه العربية أنها مزاحَـمَـة في عقر دارها بممارسات، تحدّ من انتشارها، ويتجلى ذلك على المستويين الحياتي اليومي والرسمي، أما في لغة الحياة اليومية فحضور العربية معدوم لسيطرة عامياتها على هذا المستوى من الممارسة اللغوية، والخطير في الأمر أن ما بين العربية الفصحى ولهجاتها اختلافات حادة وعميقة، مما حمل على القول[3] بأن هذه العاميات باتت هي اللغة الأم بالنسبة إلى الإنسان العربي، وأما الفصيحة فهي بمنزلة اللغة الثانية بالنسبة إليه. وغني عن البيان[4] أن تصور القضاء على اللهجات لتسودَ الفصحية كلَّ مظاهر حياة أبنائها وَهْـمٌ خالص، فلكل من هذين المستويين اللغويين مجالات استعمالية خاصة به، وكل المأمول في هذا الصدد هو تضييق الهوة ما أمكن بين الفصيحة و عامياتها .

أما على المستوى الرسمي المهني،أو العلمي والتعليمي فالعربية منافسة باللغتين الإنكليزية والفرنسية اللتين تتصارعان على مناطق النفوذ في الوطن العربي، فمن نافلة القول الإشارة إلى الحضور الطاغي للإنكليزية في دول الخليج العربي، وأما في دول المغرب العربي الجزائر وتونس والمغرب فبصمات اللغة الفرنسية مازالت بارزة[5] ، ومع ذلك أضحى عدد مدرسي اللغة الإنكليزية في المغرب كما أوضحت إحصائيات رسمية [6] مساويا لعدد مدرسي اللغة العربية ! وفي هذا الصدد نشير إلى ظاهرة التعدد أو التداخل اللغوي في الوطن العربي عامة، كالسودان ودول المغرب العربي[7] وشمال العراق خاصة، كما نشير إلى ما لذلك من ضرر على النشأة اللغوية، وإلى ما يترتب على هذا التداخل من ضعف الاستيعاب والإبداع عند الطفل العربي الناشئ في بيئة تعاني هذا الضرب من التداخل اللغوي غير الصحي[8].

أقول: غيرُ الصحي، لأنه يجب ألا نحمل التعدد اللغوي أو التداخل اللغوي أكثر مما ينبغي في الحد من انتشار العربية وذلك إذا ما وضعت الأمور في نصابها،فـ"معظم شعوب العالم اليوم كما في الماضي متعددة اللغات"[9] ، ولم يسبب هذا التعدد للكثير منها ما تعانيه الأمة العربية من إشكالية حضارية علمية، أو لغوية ، فدول الاتحاد الأوربي مثلا معنية بمجتمعات متعددة اللغات، وقد عُـرِفَ ذلك عندهم بمعادلة(اللغة الأم +٢)أي أن على المواطن أن يكون ثلاثي اللغات[10]، وسويسرا والسويد وهولندا والدانمرك من أكثر المجتمعات تعددية لغوية، ومع ذلك أضحت هذه المجتمعات من القيادات العلمية العالمية[11] بل إن الهند[12] فيها/٦٦٦١/لغة،ولعل الوضع شبيه بذلك في أندنوسيا و الباكستان، ومع ذلك حققت هذه الشعوب نهضة علمية، لم تحققها بعد الدولة العربية الحديثة، مما يؤنس بما قلناه قبل قليل من أن ما تعانيه المجتمعات

---

[1] - تكررت دعوات المعنيين إلى عناية التأليف المعجمي العربي بمعاجم المصطلحات، انظر: محمود السيد، مستقبل اللغة العربية، متطلبات العصر القادم، [في] مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٧، ج١،ص١٨، وعبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص١٨٦-١٨٧، ٢١٢.

[2] - انظر : عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٢١١-٢١٢.

[3] - انظر : المصدر نفسه،ص٣٢٤ ،٣٤٤.و كيس فريستيغ،اللغة العربية،ص٢١٦،١٣١، ٢٢٤.

[4] -انظر: المصدر نفسه، ص٣٢٧.

[5] - عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص ، ٣٣١،٣٥٩-٣٦٠.

[6] -انظر: المصدر السابق، ص٣٦٠.

[7] -انظر: المصدر السابق،ص٣٣٣-٣٣٥.

[8] - انظر: المصدر السابق،ص٣٢٨-٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٥.

[9] - انظر: سكوت. ل . مونتغمري، هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟ مرجع سابق، ص٢٢٢.

[10] - انظر: المرجع سابق،ص٧١

[11] - انظر: المرجع السابق،ص،٣٤، ١٦٥.

[12] - انظر: المرجع السابق،ص٦١

العربية من التعدد أو التداخل اللغوي ليس هو المسؤول الأهم والوحيد عما تعانيه من إشكالية حضارية علمية أو لغوية، والراجح أن العامل الأهم و المسؤول فيما نحن فيه إنما هو عدم الاتفاق على الأولويات الكفيلة بالنهضة التنموية الشاملة، فالاتفاق على الأولويات مقدمة لوضع كل شيء في مكانه، وهذه خطوة لا بد منها في بداية طريق نجاح المجتمعات ورقيها .

٥-قصور في الإملاء العربي . آخر ما يتراءى لنا من معوقات العربية هو صعوبة الإملاء العربي وإشكالاته التي لا ينكرها المرء، والتي لم تُجْدِ معها محاولات الإصلاح، فعلى إيماننا بأنه لا وجود لإملاء مثالي في لغات البشر عامة نؤمن أيضا بما يراه البعض من أن صعوبة الخط معوق من معوقات انتشار المعرفة والعلم[١] ، و أن الإملاء العربي على ما هو عليه معوِّق من معوقات تعلم العربية وتعليمها، وذلك لكثرة قواعده وتشعبها، ولكثرة الشواذ على هذه القواعد، وهو ما أفاض المعنيون في الحديث عنه[٢] .

هذه هي أهم المعوقات التي تحدُّ من انتشار العربية الفصحى، وتعمل على تغييرها، ومن قبلُ عرضنا لأهم مقومات ثباتها وصمودها، والناتج عن تصارع هذه وتلك ضرب من ضروب ثبات العربية، وصمودها حتى يوم الناس هذا، وهذا الصمود باق ما بقيت تلك العوامل المتصارعة.

العربية بين الماضي والحاضر والمستقبل .

في ضوء ما تقدم في الفقرة السابقة عن صراع المتوازنات، وأثره في حياة العربية يغدو من المغالاة ما أشارت إليه غيرَ مرة تقارير المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم من أن العربية من اللغات المهددة بالانقراض[٣]، كما أنه من المغالاة أيضا ما يلمسه المرء لدى البعض من تصوُّر أو تصوير للعربية وكأنها في حالة من حالات الانسداد الشرياني،أو احتشاء العضلة القلبية، مما يجعلنا مهيئين دائما لأن نستيقظ لنجد أن لغة الضاد قد ارتحلت، وهو ما ينذر به كتاب" الهوية العربية والأمن اللغوي" للدكتور عبد السلام المسدي الذي لا يفتأ يردِّدُ[٤] على مسامع قارئه،وأمام ناظريه مفردات الانقراض والاندثار،والاحتضار والتدهور السريع والمفاجئ الذي من المتوقع أن ينزل في العربية بين لحظة وأخرى،لذا يدعونا المؤلف إلى أن نكون دائما في حالة متصاعدة من الترقب المنفعل، وكأننا مع العربية في غرفة العناية المركزة، فنحن على مسافة قريبة من فاجعة حضارية قاصمة، لأن المأزِق اللغوي قد سما سنمه الأعلى، فنحن على مشارف سقوط مأساوي حاد، ولغتنا تذوب تدريجيا أمام أعيننا، نراها، ولا نبصرها،نشهد احتضارها، ولا نندب حظها[٥].

وفي هذه الكلام الانفعالي الإنشائي، ما في زعم صاحبه من أن حال لغتنا في دولة الاستقلال العربية ليس أفضل مما كان عليه إبَّان دولة الاحتلال إلا في بعض الإجراءات الشكلية، وأن حال العربية على مدى عقود دولة الاستقلال لم يكن في يوم أفضل مما كان عليه في أمسه[٦]، وهذا كلام فيه قدر من المجافاة لواقعنا اللغوي على علاته ، ففي دولة الاستقلال استجدت معطيات تعزِّز على تواضعها ثباتَ العربية وصمودها، مما يشي بوجاهة خلاصة حديث سمعناه من رئيس مجمع اللغة العربية السابق، أستاذنا الدكتور شاكر الفحام – رحمه الله- مفاده أن حال العربية أفضل مما كان عليه إبان ما شهده العالم العربي من محاولات للتتريك أو الفرنسة أو غير ذلك من معالم محاربة العربية في عقر دارها،ولعل هذا يفسر ما يراه واحد من أكثر الناس حرصا على العربية ودفاعا عنها، وهو الدكتور محمود محمد الطناحي الذي

---

[١] - محمود فهمي حجازي،علم اللغة العربية،ص١٩٢.

[٢] - انظر: محمد عبدو فلفل، أضواء على المشكلة اللغوية العربية،ص٢٤-٢٦،وعبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٢٠٧،و حسين نصار،دراسات لغوية،ط٢،دار الرائد العربي بيروت،١٩٨٦،ص١٠.

[٣] - أشارت إلى ذلك في تقاريرها السنوية للأعوام:٢٠١٢،٢٠٠٧،٢٠٠٦. انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٣٨٧-٣٨٨.

[٤] - انظر : عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ص ١١٢،٦٧،١٧،١٤، ١٥١، ١٩٥.

[٥] -انظر: المصدر السابق، الصفحات نفسها

[٦] -انظر: المصدر السابق، ص٢٩، ١٠٦-١٠٧.

انتهى من حديث مطوَّل عن مدى تغير عربية أيامنا، أو تأثرها بغيرها إلى أن"عربيتنا الفصحى العالية لا زالت بخير وعافية"[1]

نقول إن لهذا الرأي وما قبله قدرا من الصواب، وذلك لما شهدته البلاد العربية من تحولات متواضعة ولكنها على تواضعها تعزز مقومات ثبات اللغة العربية، ومن هذا القبيل الحد من الأمية في المجتمعات العربية مقارنة بما كانت عليه إبان الاحتلال، ومنه الزيادة الملحوظة في النشر بالعربية الفصحى مقارنة بما كان في تلك الحقبة، يضاف إلى ذلك دخول العربية الفصحى رحاب المنظمات الدولية وازديادُ عدد الناطقين بها من أبنائها ومن غيرهم داخل الوطن العربي وخارجه، وهو ما تفيد به إحصائيات حديثة وَضَعتِ العربيةَ خامسة اللغات العشر الأكثر انتشارا[2] في العالم، ولعل هذا ما جعل ديفيد غرادول[3] يتوقع أن تكون العربية في القرن الحادي والعشرين واحدة من خمس لغات عالمية، يمكن أن تحوز محور الاهتمام في التواصل الدولي، وقريبٌ من ذلك جعل بيار بورني العربية من اللغات المرشحة للعالمية[4]. يضاف إلى ذلك ما يراه المستشرق الألماني شتيفان فلد[5] من أن العربية الفصيحة في عصر الإعلام المسموع والمرئي أتيح لها من الوصول إلى فضاءات داخل الوطن وخارجه ما لم يكن متاحا لها من قبل، نقول ذلك على ما نلاحظه جميعا من قصور واضح في تحمل الإعلام العربي لمسؤولياته تجاه اللغة العربية، وذلك بالطبع تجلٍّ من تجليات إخفاق دولة الاستقلال العربية في تحقيق التنمية الشاملة، التي يجب أن يكون من لوازمها، وفي ثناياها التنمية اللغوية، مما يعني أن سؤال التنمية فيما نحن فيه مواز، بل مُقَـدَّمٌ على سؤال اللغة، وهو ما نحاول بيانه فيما يلي :

سؤال اللغة أم سؤال التنمية ؟

بات من المسلم به أن أية لغة لا يمكن أن تنهض النهوض الذي يرجوه لها محبوها ما لم يكن ذلك مصحوبا بتنمية شاملة لمختلف ميادين حياة أمتها "فمستوى اللغة وتطورها مرتبطان أوثق الارتباط بمستوى الأمة الثقافي وتطورها"[6] لذا أُكِّـد المعنيون غير مرة أن التنمية اللغوية قرينة التنمية الشاملة ومرتبطة بها ارتباطا عضويا[7] ولأن الأمر كذلك، ولأن العرب في العصر الحديث لم يحققوا بعد من التنمية الشاملة ما يجعلهم مع لغتهم في مصاف الأمم الرائدة والمتقدمة، يبدو التفاؤل بارتقاء العربية غير المصحوب بهذه التنمية الشاملة ضربا من الخيال، أو مداعبة المخيلة العربية بأحلام غير قابلة للتحقيق على الصورة التي يتوهمها للعربية كثير من المعنيين بما نحن فيه، لذا كثيرا ما يبدو الحديث في هذه الحالة عن النهوض بالعربية ضربا من ضروب الاستثمار، و كسب النقاط، وتسجيل المواقف.

الفصحى والمردود الوظيفي .

مما يعني أن سؤال التنمية العربية الشاملة في الحالة العربية أو سؤال الحضارة والمساهمة الفعلية في إنتاجها يجب أن يكون مقدَّما على السؤال اللغوي، أو مسايرا له، كما يعني أن نهضتنا اللغوية المأمولة قرينة نهضتنا الحضارية العربية الهوية واللسان،نهضة تكون العربية وسيلة أساسية في تحقيقها، وفي تحصيل مخرجاتها الفكرية والعلمية، وذلك على نحو يُـقْـنِـعُ أبناء العربية على اختلاف مستوياتهم وشرائحهم،وكل بحسب مستواه واهتماته بالحاجة الوظيفية إلى عربيتهم الفصيحة، إذا ليس من المقنع أن نلزم الناس بفعل ما لا يلمسون جدواه في حياتهم الشخصية حاضرا أو مستقبلا،فقد لوحظ أنه عندما نبحث في مؤسسة كاللسان من وجهة وظيفية ليس بمقدورنا أن نتجرد من حقيقة سعيها إلى

---

[1] - محمود محمد الطناحي،في اللغة والأدب؛دراسات وبحوث،٧٨٠/٢.وعبارة"لا زالت " هنا خبرية لا دعائية،بدليلين السياق العام الذي جاءت فيه، وأن الكاتب كما لاحظت في سياقات أخرى يستعمل هذا التركيب قاصدا به الإخبار لا الدعاء.

[2] - انظر: سكوت. ل.مونتغمري،هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟ ،ص٨٠-٨١

[3] - انظر: المرجع السابق، ص٥٩، وقد أشار الدكتور المسدي نفسه إلى ما هو قريب مما قاله غرادول.انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٢٦٥.

[4] - انظر:لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية،ص١٩٥-١٩٦.

[5] - انظر: مجموعة من المستشرقين، دراسات في العربية، تحرير. فولف ديتريش فيشر، تر. سعيد حسن بحيري، ط١،مكتبة الآداب القاهرة ٢٠٠٥، ص ١٤٣-١٤٥.

[6] -حسين نصار،دراسات لغوية،ط٢،دار الرائد العربي بيروت،١٩٨٦،ص١١.

[7] - انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص١٠٩، ٢٤٢، ٣٢٠، ٣٦٤.

إشباع احتياجاتٍ ما، وهو ما يمكن التعبِّيرَ عنه بفرضية المردود الوظيفي لأي عمل[1]،مما يعني أن الموضوعية والواقعية تملي علينا النظر إلى واقع الفصحى في الاستعمال في ضوء المردود الوظيفي لهذا الاستعمال في حياة الإنسان العربي الراهنة.

ولكن لابد من المبادرة.

و أرجو ألا يُفْهَمَ ما تقدَّم على أنه دعوة إلى الاستسلام لواقع العربية على ما هي عليه ، وانتظارِ تحقق تلك التنمية المجتمعية المأمولة، إذ لابد من المبادرة، والعمل على النهوض بواقعنا اللغوي، وتحسينه، فذلك جزء من تلك النهضة التنموية المأمولة، وفي هذا السياق يأتي حرص المعنيين بالمسألة اللغوية العربية أفرادا ومؤسسات بين وقت وآخر على تلمس ما يمكن أن يسهم في النهوض بواقع العربية في الاستعمال.ومن معالم ذلك، وفي مقدمته تسليط الضوء على واقع العربية في التعليم والإعلام،القناتين الأكثر تأثيرا في تكوين البيئة اللغوية للإنسان العربي، فهما متحكمان أساسيان في تنشئتنا اللغوية، وفيما يلي نقدم ما نراه ضروريا في هذا السياق .

توفير البيئة اللغوية المناسبة .

بات من المسلم به أن ملكة اللغة عند الإنسان لها تجليان:موهوبٌ و مكسوبٌ، أما الموهوب فيتمثل بأن الإنسان عامة مزود بالفطرة بقدرات عقلية، وتكوين عضوي، يمكنانه من اكتساب لغة البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها.فما نكتسبه في مجتمعاتنا من معارف لغوية صوتية ومعجمية وصرفية ونحوية على مر الأيام تحفظه ذواكرنا، ويتحكم لا شعوريا بفعل بالتغذية الراجعة بممارستنا للغتنا كلاما واستماعا، وذلك بموجب ما يعرف بقياس المتكلم القاضي بأننا في ممارستنا للغة مستقبلِين ومرسلِين نحاكي أو نقلد لا شعوريا النظم اللغوية المختزنة في ذواكرنا على مختلف المستويات ،فممارستنا للغة ما هي إلا صوغ قياسي نمارسه في كلامنا من غير وعي،و هذا الصوغ يصبغ نشاطنا اللغوي منذ الطفولة،ويُراعى فيه طريقة تكوين المفردات والجمل المستعملة في البيئة اللغوية[2] مما يعني أن ما يحدد مستوى استعمالنا للغة – وهو جانبها المكسوب - إنما هو ما يكتنفنا من محيط لغوي عام أو خاص .

وكل ما تقدم يعني أننا إذا كنا معنيين حقًّا بتحسين مستوى العربية في الاستعمال فمن أولى الأوليات التي يجب أن نبادر إليها الحرص على توفير بيئة لغوية حاضنة سليمة ما أمكن، ولعل من المسلم به أن التعليم والإعلام أهم وأخطر القنوات اللغوية المتحكمة بشأننا اللغوي: بيئة و ذاكرة وذائقة، مما يعني ضرورة العناية بهاتين القناتين عناية تركز على المشافهة والاستماع ، وبحسب طبيعة الموقف والموضوع،وليس من المغالاة القول بأن العناية بذلك لا تقل أهمية عن العناية بتعليم قواعد اللغة وأحكامها تعليما مباشر،ذلك أن الإلمام بقواعد اللغة يعني اكتسابنا معارف لغوية، ولا يعني بالضرورة امتلاكنا عمليا لناصية الملكة اللغوية.

فاللغة قبل أن تكون حروفا وكلمات مكتوبة، وقواعد وأحكاما مستخلصة ومدروسة هي ألفاظ منطوقة وأصوات مسموعة،والإنسان يتعلم اللغة في البدء أصواتا وألفاظا منطوقة من خلال المحادثة والاستماع، ويظل يمارس اللغة على هذا النحو مدة من الزمن، ثم يتعلمها حروفا وكلمات مكتوبة، فيمارس القراءة والكتابة، ولكنه لا ينقطع عن اكتسابها محادثة واستماعا[3]، مما يعني أن الارتقاء بالمشافهة والاستماع أسٌّ من أسس الارتقاء بواقع العربية في الاستعمال. وأهم سبل الارتقاء بالمشافهة والاستماع في عصرنا هذا قناتا التعليم والإعلام،مما يعني أن الاهتمام بالمستوى اللغوي فيهما يعني فيما يعنيه الاهتمام بحال العربية في الاستعمال.وفيما يلي مقاربة لأثر كل من التعليم والإعلام في هذه المسألة .

دور التعليم في تكوين البيئة اللغوية.

[1] - انظر: أندري مارتينيه، وظيفة الألسن وديناميتها،ص٢٧،٣١.
[2] -انظر: تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية،ط،دار الثقافة،الدار البيضاء، ١٩٨٠،ص٣١- ٣٢، ٣٦، ٥٧، ٥٨.
[3] -انظر: أحمد زياد محبك،أهمية المشافهة في تعليم اللغة العربية[في]مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج١،٨٢ /٩٩.

يُنْتَظَر لغويا من التعليم المتقن بعربية سليمة جسر الهوة بينها وبين عامياتها، ففي كل جماعة لغوية فارق بين لغة الكتابة واللغة العامية الدارجة، مما يعني أن امتلاك إحداهما فقط لا يعني بالضرورة امتلاك الأخرى، حتى في المجتمعات المتمكنة علميا[١]. على أن المجتمعات التي يكون فيها فارق نوعي بين نمط عال،ونمط دوني يكون فيها الفارق بين لغة الكتابة و لغة الكلام كبيرا جدا،وإذا كانت معدلات التعليم في المجتمع منخفضة يصبح التمكن من لغة الكتابة أمرا محدودا جدا، مما يجعل الفصحى بمنزلة اللغة الثانية، ويجعل العامية بمنزلة اللغة الأم، وهو ما ينطبق للأسف على حالتنا اللغوية[٢].

ومما قيل فيما نحن فيه أن "التعليم الحق لا يكون في الواقع إلا بمهارات أربع : المحادثة، والاستماع، والقراءة والكتابة، وأن معظم الدارسين يؤكدون أولوية المحادثة والاستماع،لأن اللغة في طبيعتها وسيلة اتصال بين الناس من خلال اللفظ والصوت،قبل أن تكون وسيلة كتابة بالحرف"[٣]. ومع ذلك ضؤل حظ المشافهة بالعربية في العملية التعليمية ومنها التعليم الجامعي، فقد حلَّ التلقين والتدوين محل الحوار الشفهي في الأعم الأغلب من العملية التعليمية في الجامعات العربية، وأخذت الكلمة المكتوبة مقارنة بالمشافهة من الحضور أكثر مما ينبغي حتى في أقسام اللغة العربية ، يضاف إلى ذلك أن هذه الأقسام تقوم في الأعم الأغلب على شيء من عدم الوضوح في الهدف، الذي ينعكس بالضرورة اضطرابا في الخطة الدرسية، وفي المخرجات. فالسؤال الذي لم يُجَبْ عنه بوضوح بعد ،هو تحديد الهدف الرئيس لهذه الأقسام، أهو تزويد مخرجاتها من الطلاب بالمعارف وأصول البحث العلمي فيما هي معنية به من العلوم أم الارتقاء بملكة ممارسة العربية لدى هذه المخرجات استماعا وكلاما وفهما واستيعابا ؟ الظاهر أن الهدف الأول هو الراجح،بل الطاغي على الهدف الثاني.

و مما يدل على ذلك تدني أداء مخرجات هذه الأقسام للعربية الفصحى ارتجالا وكتابة، وخلو الخطط الدرسية من مقررات معنية بتعليم العربية بالمشافهة والاستماع،وحفظ النصوص[٤]، ولذلك من الأهمية في التمكن من الملكة اللغوية ما أوضحه ابن خلدون في حديثه عن الملكة اللغوية قائلا:"هذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه، وليستْ تحصلُ بمعرفة القوانين العلمية....التي استنبطها أهل صناعة اللسان،فإن هذه القوانين تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل"[٥]،لذا يؤكد ابن خلدون دور حفظ النصوص الفصيحة في التمكن من الملكة اللغوية، فيقول:" ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ، ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم "[٦]

لذا قد يكون من المجدي للارتقاء بواقع العربية في الاستعمال إحداث مقرر في كل سنة من سنوات الدراسة في أقسام اللغة العربية يُعْنَى بالمحادثة والاستماع، وحفظ نماذج من النصوص اللغوية الفصيحة، و إيلاء ذلك مزيدا من الاهتمام في مختلف مراحل تعليم اللغة العربية، ففيه تحفيز على الممارسة الشفهية للعربية، كما أن في حدًّا من حالة التصحر الملاحظ في الملكة اللغوية عند معظم خِرِّجـــي أقسام اللغة العربية، ومما زاد حالة التصحر هذه اعتماد الأتمتة في اختبارات بعض مقررات هذه الأقسام،مما يفوِّت على الطالب فرصة ممارسة اللغة ممارسة نصية كتابية وشفهية،لذا ترى معظمَ الخريجين في أحسن الأحوال حصَّلوا قدرا من المعارف اللغوية، ولكنهم ضعاف في الارتجال

---

[١] -يقول أندري مارتينيه في " وظيفة الألسن و ديناميتها " ص٥٢-٥٣: ليس من النادر أن كثيرا من الأشخاص الذين أتقنوا الفرنسية المعيارية المدرسية فحسب يصابون بالحيرة لدى وصولهم إلى فرنسا وسماعهم الفرنسيين، ويقول أيضا : من الأفضل عندما تعلِّمون الإنكليزية مثلا أن تُسْمِعوا بضع أسطوانات على الأقل لأشخاص يتكلمون اللهجة اللندنية،حينما وصلت إلى لندن للمرة الأولى لم أفقه شيئا على الإطلاق مما قاله لي بواب الفندق، ومع ذلك كنت أتكلم الإنكليزية جيدا ، لم يكن ثمة مشاكل مع أصدقائي الطلاب.

[٢] -يرى الدكتور تمام حسان في تقديمه لكتاب" اللغة في المجتمع" لـ م. لويس أن العامية التي ننشأ عليها منذ الصغر هي لغتنا الأولى، أما العربية الفصحى التي نتعلمها في المدارس فهي لغة ثانية بالنسبة لنا. انظر: م. لويس، اللغة في المجتمع، تر. تمام حسان،ط.عالم الكتب،القاهرة،٢٠٠٣،ص١٠، و انظر: كيس فريستيغ،اللغة العربية،ص ٢١٦،١٣١، ٢٢٤.و عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٣٢٤، ٣٤٤.

[٣] - أحمد زياد محبك،أهمية المشافهة في تعليم اللغة العربية[في]مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٨٢، ١ /٩٩.

[٤] -انظر: محمود محمد الطناحي،في اللغة والأدب؛دراسات وبحوث،٥٢٦/٢.

[٥] - ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٠١"الفصل الواحد والخمسون في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان، وتحقيق معناه..."

[٦] -المصدر السابق، ص٤٩٩، الفصل التاسع والأربعون.

الشفهي، و ذلك على نحو يذكر بقول ابن خلدون : "العلم بقوانين الإعراب هو علم بكيفية العمل، وليس هو نفس العمل،ولذلك نجد كثرا من جهابذة النحاة، والمهرة في صناعة العربية والمحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل كتابة سطرين إلى أخيه....أخطأ فيهما عن الصواب وأكثر من اللحن، ولم يُجِدْ تأليف الكلام ... والعبارةَ عن المقصود على أساليب اللسان العربي"[١].

وغني عن البيان أن حال المشافهة اللغوية والاستماع في التعليم ما قبل الجامعي ليست أفضل مما هي عليه في التعليم الجامعي، وذلك لأسباب ليس أهمها وأخطرها أن القائمين على تعليم العربية في التعليم ما قبل الجامعي هم من مخرجات هذا التعليم .ولسنا هنا في معرض اتهام جهة دون أخرى، فمستويات التعليم على تعددها متكاملة ومحكومة بمعطيات شاملة تؤثر في العملية التعليمية وغيرها من الفعالية المجتمعية العامة.

دور الإعلام في تكوين البيئة اللغوية.

غني عن التوكيد أن للإعلام دورا خطيرا في مختلف شؤون حياتنا، وذلك لطغيانه، ولتعدد قنواته المسموعة والمقروءة والمرئية،لذا لا يخفى على المَعْنِيِّ ما للإعلام من أثر خطير[٢] في تكوين البيئة اللغوية المتحكمة إلى حد لا ينكر بطبيعة الاستعمال اللغوي في أمة تكاد تكون فيها القراءة معدومة لغير التحصيل العلمي الرسمي، مما يترك للغة الإعلام التحكم إلى حد لا يستهان به بتحديد معالم الذائقة اللغوية للمجتمع العربي. ،وهو أي الإعلام في النظر إليه من الوجهة اللغوية سلاح ذو عدة حدود متباينة حينا، ومتناقضة حينا آخر، أما المتباينة فتتمثل بهيمنة الصورة في المشهد الإعلامي، وذلك على حساب الكلمة بغض النظر عن مدى سلامة الكلمة فيه أو اعتلالها. وأما المتناقض من هذه الحدود فيتمثل بأن الإعلام يمكن أن يكون سبيلا من سبل ارتقاء استعمالنا للعربية بقدر ما يمكن أن يكون سلاحا تحارَب به. وإذا أريد للإعلام أن يكون من سبل ارتقاء العربية فلا بد من أن تشغل الفصحى حيزا واسعا مما يبث أو ينشر، وخاصة في المواد الموجهة للأطفال، أو للشباب كبرامج الأطفال،والمسابقات، والبرامج الرياضية والإعلانات.

وفي هذا السياق نذكر بما اتضح لدراسة عنيت بلغة الصحافة السورية من أن المواد الرياضية والإعلانات التجارية والمناقصات وأخبار الحوادث والقضاء هي المواد الأضعف لغة[٣]مع أنها المواد الأكثر قراءة، ومما يذكر في هذا الصدد أيضا أن وثيقة مبادئ تنظيم البث الفضائي الإذاعي التلفزيوني التي تبناها وزراء الإعلام العرب في ٢٠٠٨/٢/٢١ارتضت أن تكون حصة الفصحى من بث المحطة الفضائية عشرين في المئة، بل لوحظ أنه حتى هذا الخمس كان نصيب الفصيحة منه الصفر في بعض الفضائيات العربية[٤]التي يتبنى بعضها عامدا[٥] عاميات البلدان التي تبث منها، أو الفئة البشرية التي تخاطبها،مما يسهم في تعميق الإقليمية اللهجية، وذلك بخلاف بعض محطات البث التلفزيوني السياسية، ولاسيما الأجنبية التي تسهم بحكم خطابها الفصيح الموجه للعرب عامة في تجاوز هذه الإقليمية، وفي نشر الفصحى والارتقاء بالذائقة اللغوية عند المتلقي .

الـــخـــلاصـــة.

وبعد فقد سعتْ هذه الورقة إلى مقاربة واقع اللغة العربية في الاستعمال مقاربة عامة، حاولت أن تتسم بالواقعية والموضوعية والتشخيص العلمي المكاشف.فانتهت إلى أن حالتنا اللغوية حالة طبيعية، تتفق وواقع الأمة ومكانتها وإسهاماتها،ولا شك أن حالنا اللغوية غير مطمئنة،ولكنها في المنظور العام على خطورتها جزئية محكومة بمعطيات كلية

[١] - ابن خلدون المقدمة،ص٥٠٠،"الباب الخمسون في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية، ومستغنية عنها في التعليم."
[٢] -انظر: ممدوح محمد خسارة،قضايا لغوية معاصرة،ص٩٤.
[٣] - انظر: محمد عبدو فلفل، أضواء على المشكلة اللغوية العربية، ص ١١٧-١١٨.
[٤] -انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٥٩-٦٠.
[٥] -انظر: انظر: ممدوح محمد خسارة،قضايا لغوية معاصرة،ص٩٦-٩٧.

عامة،أكثر أهمية وأشدَّ خطرا في حياة الأمة، وهي ما يسميه بعضهم[1] بالعطالة الحضارية التاريخية التي تعيشها الأمة العربية،فمن المسلم به كما سبق بيانه أن نهضتنا اللغوية المأمولة قرينة نهضتنا الحضارية العربية الهوية واللسان،نهضة تكون العربية وسيلة أساسية في تحقيقها، وفي تحصيل مخرجاتها الفكرية والعلمية، وذلك على نحو يُـقْـنِـعُ أبناء العربية على اختلاف مستوياتهم وشرائحهم، وكل بحسب معطيات حياته ومتطلباتها أنها من لوازم تحصيلهم وتكوينهم، إذا ليس من المقنع أن نلزم الناس بفعل أشياء لا يلمسون جدواها في حياتهم الشخصية حاضرا أو مستقبلا،فتعلم اللغة والعناية بها محكومان بالحاجة إليها في الاستعمال، وطبيعة الإنسان قائمة على ألا يبذل من الجهد في تحصيل الشيء أكثرَ من الجدوى المرتجاة من تحصيله له .

لما تقدم يحسن بالحوار أن يتسم بالمسؤولية وبما يجب من المكاشفة الموحية بأن أي حديث عن النهضة اللغوية العربية غير مصحوب بنهضة تنموية شاملة،أساسها العلم والشفافية ،والتفكير الموضوعي والتحليل الواقعي والنقد البناء لن يحقق المرجو منه ،لذا لا يندر أن يكون هذا الحديث مظهرا من مظاهر الاستثمار وكسب النقاط، وتسجيل المواقف. يضاف إلى ذلك أن حالة النهوض المأمولة حضاريا وعلميا ولغويا لا يكفي لتحقيقها التمويل والتشريعات والتقنيات ما لم يكن ذلك كله قائما على الاقتناع والرغبة الصادقة، والإرادة الجادة المؤسسة على حـدٍّ من الاتفاق على الأولويات، والمأمولُ أن يتوافر من الاتفاق على الأوليات ما يكفي في المشهد العربي لنهضة الأمة حضاريا ولغويا.

مصادر البحث

- **أحمد زياد محبك**،أهمية المشافهة في تعليم اللغة العربية[في]مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج٨٢.

– **أحمد محمد قدور**، مدخل إلى فقه اللغة العربية، ط١ بيروت،١٩٩٣.

-**أندري مارتينيه**، وظيفة الألسن و ديناميتها، تر. نادر سراج،ط١،دار المنتَخَب العربي،بيروت،١٩٩٦.

- **تمام حسان**، اللغة بين المعيارية والوصفية،ط. دار الثقافة،الدار البيضاء، ١٩٨.

- **جوزيف فندريس**، اللغة،تر. عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، ،ط.لجنة البيان العربي، القاهرة،١٩٥٠.

- **ابن خلدون**، المقدمة source:http://saaid.net-to pdf:www.al-mostafa.com

- **حسين نصار**،دراسات لغوية،ط٢،دار الرائد العربي بيروت،١٩٨٦.

- **ديفيد جيستس**، محاسن العربية في المرآة الغربية،تر.حمزة قبلان المزيني، ط١،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٢٥.

- **رمضان عبد التواب**،فصول في فقه اللغة العربية،ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣.

- **سكوت.ل.مونتغمري**،هل يحتاج العلم إلى لغة عالمية؟تر.فؤاد عبد المطلب، ط١ سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٤.

- **سيلفان أورو، جاك ديشان**، جمال كولغلي، فلسفة اللغة، تر. بسام بركة، مرا. ميشيل زكريا،ط١،المنظمة العربية للترجمة، بيروت،٢٠١٢.

- **عبد السلام المسدي**، الهوية العربية والأمن اللغوي، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة – بيروت، ٢٠١٤ .

[1] -انظر: عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي،ص٢٦٠-٢٦١.

كيس فريستيغ،اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها، وتأثيرها،تر.محمد الشرقاوي،ط١.المشروع القومي للترجمة، القاهرة،٢٠٠٣.

- **لويس جان كالفي**، حرب اللغات والسياسات اللغوية، تر. حسن حمزة، ط١، المنظمة العربية للترجمة،بيروت، ٢٠٠٨.

- **مجموعة من المستشرقين**، دراسات في العربية، تحرير. فولف ديتريش فيشر، تر.سعيد حسن بحيري، ط١،مكتبة الآداب القاهرة ،٢٠٠٥.

- **محمد عبدو فلفل**، أضواء على المشكلة اللغوية العربية ، ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٣.

- **محمود السيد**، مستقبل اللغة العربية، ومتطلبات العصر القادم [في] مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٨٧.

-**محمود فهمي حجازي**،علم اللغة العربية، ط. وكالة المطبوعات، الكويت .

- **محمود محمد الطناحي**،في اللغة والأدب؛دراسات وبحوث،ط.دار الغرب الإسلامي.

- **ممدوح محمد خسارة**،قضايا لغوية معاصرة،ط١.الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع،دمشق،٢٠٠٣.

- **م. م. لويس**، اللغة في المجتمع، تر. تمام حسان،ط.عالم الكتب،القاهرة،٢٠٠٣.

- **يوهان فيك**، العربية، تر. د. رمضان عبد التواب، ط، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠.